Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جنة الحلم الأندلسى

عمر البشرية نصفه أحلام تتبخر فى الهواء، ولايبقى منها سوى الشعر الذى يتجسد فى تضاعيف اللغة قبل أن تذهب به أضغاث التاريخ، ولعل الحلم الأندلسى يكون من أصفى الرؤى التى بقيت فى الثقافة العربية الوسيطة وأشدها إثارة، لأنه مفعم بمذاق الحياة، مشغول بتمثيلها على طريقته الخاصة، وعندما نحاول قراءة لمحة خاطفة منه اليوم لانتعسف فى استقصاء مقاصده، بل نتتبع مافيه من إشارات ونمضى خلفها دون حرج لاصطياد ماتفضى إليه من دلالات، بما يمكن أن يعد رحلة فى شعائر اللغة وعربيتها وسيكون دليلنا فى هذه الرحلة كلمات ابن خفاجة (٤٥٠ ـ ٥٣٣هـ) الشاعر الذى لقب بالجنّان لافتتانه بطبيعة الأندلس وعشقه لمظاهر جمالها، والتى يقول فيها :

يا أهل أندلسٍ، لله دركمُ ماء وظل وأنهار وأشجارُ

ماجنة الخلد إلا فى دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار

وهى أبيات شهيرة ذهبت بعيدا فى ذاكرة القراء، وأسهمت ببساطتها وتلقائيتها فى بلورة فكرة الفردوس الأندلسى قبل أن يصبح مفقودا ، فقدمت عددا من الصور الذهنية والشعرية تستحق أن نرقبها عن كثب، عبر تأمل وحداتها الدلالية وتحليل صيغها التعبيرية .

واللافت للنظر فى البداية هو هذا «الموقف» الذى يتخذه الشاعر عندما يشرع فى نظم أبياته المفردة، فهو يتوجه إلى الآخرين وهو ينادى أو يناجى نفسه ، يخاطب الناس من حوله فينسبهم إلى المكان الذى يحيط به، عندئذ تتوارى العصبيات القبلية والطائفية من مخيلة الشاعر، ولا يبقى إلا « أهل أندلس » على التنكير، وأى